تفريغ محاضرة

ربنا هب لنا من لدنك رحمة

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٨ /٩ /١٤٤٠ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةُ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلٌ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

ربنا هب لنا من لدنك رحمة

رمضان 1440 هـ

إن الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستهديهِ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، وسيئاتِ أعمالنا، من يهدهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أما بعد..

فنحمدُ اللهَ حمدَ الشاكرينَ على أن بلغنا هذهِ الليلة، ونحمدُ اللهَ حمدَ الممتنين له بأن أذِنَ لنا أن نحيا لإدراك رمضان، وهذا الحمد حمدُ اعترافٍ بمنتهِ وفضلهِ أن أحيانا حتى نتذوّقَ من فيضِ الرحماتِ في هذا الشهر الكريم.

منذ أن بدأ الشهرَ، وأنا أتخيّل **أن لدينا جميعاً سؤالٌ يدورُ في أذهاننا**، فبينما نتحدث عن رمضان وعن فضائله، وعمّا يُمكننا فعلهُ من العباداتِ والطاعاتِ ومن تنافسٍ في الخيرات- فتجد الناس ما بين صائم وقائم وتالٍ للقرآن، وما بين مستكثر لتلك الختمات ومنفق لتلك الصدقات- وفي غمرة ذلك كله لا زال لدينا سؤال يعتلج في قلوبنا:

هل وصلنا إلى الله؟!

وإن لم نصل، فكيف نصل إليهِ -عز وجل-؟! فتجد أننا في كل يومٍ، بل وفي كل ليلةٍ، في كل جلسة إشراقٍ نجلسها بعد صلاة الفجرِ، في كل يوم نفطر فيه، نتساءل بدواخلنا من قبيل هذا السؤال:

هل رضيتَ عني يا رب؟ هل قدمتُ ما يرضيك؟ هل غفرتَ لي؟

وهل أعتقتني يا رب؟ أمع أول زمرة؟ أم ثاني زمرة؟ أفي ثالث ليلة؟ أم رابع ليلة؟

إذاً هذا السؤال الذي يتمحور حول وصولنا لمحابهِ -عز وجل-، وحول كيفية الوصول، وماذا يمكن أن نفعل حتى نصل إلى الله سبحانه،

يجيب الله -عز وجل- **بيشارة، وهذه البشارة جاءت في سورة الأنعام** ولنا وفيها أجوبةٌ على كثير من هذه الأسئلة التي تدور في أذهاننا، يقول الله عز وجل: **﴿وَإذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤمِنونَ بِآياتِنا﴾** (54) (وإذا جاءك) قيلت للنبي -عليه الصلاة والسلام-، نزل بها جبريل -عليه السلام-، وجدير بالذكر أن **"سورة الأنعام بالذات نزلت مرة واحدة بسبعين ألف ملك! وهذه السورة لها وقع عظيم في النفس! وما إن تقرأها بنوعٍ من التدبر أو التمعن حتى تجد قلبك يحلق في هذه السورة، ففيها آيتانِ عظيمتان وبشارتينِ كبيرتين!"**

إحداهما هي هذه الآية التي يقول الله عز وجل فيها لنبيه:**﴿وَإذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤمِنونَ بِآياتِنا فقل سَلامٌ عليكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلى نَفسِهِ الرَّحمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سوءًا بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِن بَعدِهِ وَأَصلَحَ فَأَنَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾** [الأنعام: ٥٤]

يقول الله عز وجل لنبيه بلّغ هؤلاء المؤمنين حينما يقبلون عليك ثانين ركبهم، يُريدون أن يتحرّوا موضع الهداية، وسبيل الوصول إلى الله -عزو جل-، قل لهم:

﴿سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلى نَفسِهِ الرَّحمَةَ﴾

الله عز وجل كتب على نفسه الرحمة! وتعهد على نفسه بها!

ولكن لمن؟

هذه الرحمة ليست لأولئكَ المؤمنين الصالحين خاصة، وإنما هى لهؤلاء الذين عملوا السوءَ، وخانتهم أنفسهم حينما اقترفوا السيئاتِ، فى لحظة جهل أو ضَعف. فهذا المسىء لم يقترفها عَمدًا ولا مُصرًّا ولا مُستكبرًا ولا جَريئًا على الله -عز وجل-! ولكن نفسه خانته فى تلك اللحظة..

﴿من عَمِلَ مِنكُم سوءًا بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِن بَعدِهِ وَأَصلَحَ فَأَنَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾

فاللهُ سبحانه هنا يعطينا أوّل إشارات الوصول:

وهي أنّ اللهَ -عز وجل- يرغبُ بك، ويحب منك توبتك وإنابتك ورجوعك إليه، فلا يصل العبد إلى الله -عز وجل- بكثرة الأعمال فقط، وإنما بما يعمل في ذلك القلب بجانب تلك الأعمال.

وما يُترجم ذلك قول الله سبحانه في آيةٍ أخرى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر: ٥٣]

فهنا يخاطبُ الله أولئكَ الذين أسرفوا على أنفسهم وليس من أذنبوا ذنبًا أو اثنينِ أو ثلاثة، فلك أن تتخيل أنّ الله سبحانه ينادي هنا بهذا النداء الرحيم ويقول: **(يا عبادي)** وليس أي عباد من عباده، إنما هو نداء خاص بهم: **﴿قُل يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسرَفوا على أنفسهم﴾** يُنادي عبدهُ المسرف! فحينما يقول أحدنا أسرفت اليوم في الأكل فيعني أنه أكثرَ من الطعامِ حد الامتلاءِ فلم تكن لقمة زائدة ولا لقمتين، إنما إسراف وزيادة!

﴿قُل يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسرَفوا عَلى أَنفُسِهِم لا تَقنَطوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

الله عز وجل هنا ينادي **ويقول لك أني سأغفر هذه الذنوب جميعا**، ثم تخبرك الآية التي تليها ما يعينك على الوصولِ لذلك، إذ قال تعالى: ﴿**وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له**﴾ [الزمر: ٥٤]، فالرجاء هنا **أن الله سيغفر ذنوبك كلها، وأنه سيتوب عليك حينما تعود إليه أنت وتؤوب.**

إذًا هذه الآيات هي في رحمةِ الله -عز وجل- وهي من الآياتِ التي تتوق إليها النفوس والقلوب، والآن نستقبلُ شهر رمضان وليس لدينا كثير عملٍ ولا صلاح! بل دخلنا له من بابِ الافتقارِ معتمدين فقط على كرمِ الله سبحانه وجوده، وأنه سيغفر لنا وأنه سيعفو عنا، **ولعل هذا الافتقار إلى الله -عز وجل- هو بوابة الدخولِ لهذا الشهر**، ولذلك نحن نتذاكر اليوم سعة رحمة الله سبحانه بعباده.

جاءَ رجلٌ إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال في وصف راوي الحديث عبدالرحمن بن جبير:(**"أتى النبي-صلى الله عليه وسلم- شيخ كبير هرم سقط حاجباه على عينيه، وهو مدعم على عصا"- أي متكئًا على عصا - حتى قام بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام فقال: أرأيتَ مَن عمل الذنوبَ كلّها ولم يترِكْ منها شيئًا وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها، فهل لذلك من توبةٍ؟ قال: فهل أسلمتَ؟ قال: أما أنا فأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنك**

رسولُ اللهِ قال :تفعل الخيراتِ، وتترك السيئاتِ، فيجعلهنَّ اللهُ لك خيراتٍ كلَّهنَّ قال: وغَدَراتي وفَجراتي؟ قال: نعم قال :اللهُ أكبرُ، فما زال يُكبِّرُ حتى تَوارى)[1]

أي كل الذنوب السابقات التي عبّر عنها بقوله **(أنه ما ترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، وأن خطيئته لو قُسّمت على أهلِ الأرض لكانت سبباً في هلاكهم).**

قد بشّره النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- بأنها صفحة ماضية قد طويت، ودلّه على ما يملأ به صحائفه فيما يستقبله من عمره، فأرشده لفعل الخير وترك الشر، ليجعل الله -عز وجل- ما عمل في كل تلك السنين الماضية -أيًا كان عمره- خيرات وحسنات !

فقال الشيخ مستدركًا: يا رسول الله وغدراتي وفجراتي؟!

فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: نعم وغدراتك وفجراتك!

وهذا من كرم الله عز وجل، فقام الشيخ يكبر: الله أكبر، الله أكبر، ولم يزل يرددها حتى توارى عن الأنظار.

ومصداق هذا قول الله -عز وجل- في كتابه:

﴿إِلَّا مَن تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحًا فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَناتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]

إذًا كما قال السلف **دائمًا ما تكون الوصفة بسيطة جدًا!**

[1] أخرجه الطبراني، قال الألباني: صحيح.

أتريد أن تتغير؟

أن يتبدل حالك للأفضل؟

ولا تعلم كم بقي لك من العمر أكثير أم قليل؟

فقط افعل الخير واترك الشر، يصلح الله -عز وجل- لك ما بقي، وما مضى، ويهب لك مقابل غدراتك وفجراتك وذنوبك وسيئاتك حسناتٍ يَرجح بها ميزانُ أعمالكَ يوم القيامةِ، فتأتي ذلك اليوم بميزان حسناتٍ ثقيل، ميزانُ حسناتٍ لم تأتِ بها! لكنها سيئاتكَ التي قُلبت إلى حسنات يوم أن تبت منها وأنبت وحسُنت توبتك.

ولذلك يقول الله -عز وجل-: ﴿**إِلَّا مَن تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحًا فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَناتٍ وَكانَ اللَّهُ غَفورًا رَحيمًا**﴾ [الفرقان: ٧٠].

حدّث النبي -عليه الصلاة والسلام- صحابته عن هذه الرحمة فقال: (**جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ في الأرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذلكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلْقُ، حتّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عن ولَدِها، خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ**)[2].

وفي رواية أخرى لهذا الحديث: (**إِنَّ لِلهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[3].

لماذا ورد ذِكرُ الفَرسِ بالذات في الرواية الأولى لحديث الرحمة؟

لأنها أخفهم حركة، فلا يتخيّل أحدنا أن هذه الفرس التي تتميز بسرعة حركتها أنه لو جاء ولدها الصغير بجانبها ترفع حافرها عنه حتى لا تصيبه!

---

[2] أخرجه البخاري.
[3] أخرجه مسلم.

انظر لرحمتك أنت بالخلق، عندما مثلا ترى طفلاً صغيراً ترحمه وتعطف عليه، أو يصلك مقطع لقطٍ عاجز ملقاً على قارعة الطريق فترحمه، كل هذه الرحمات الموجودة على وجه الأرض هي جزءٌ واحدٌ فقط، أنزلها الله -عز وجل- بين الخلق يتراحمون بها، إنسهم وجنهم، البهائم والهوام، كل هؤلاء يتراحمون بهذا الجزء من عهد آدم -عليه السلام- إلى قيامِ الساعة!

وأبقى الله تسعًا وتسعين جزءًا ليوم القيامة يرحم بها عباده!

فيقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: **(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ ، لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ)**[4]

﴿**نَبِّئْ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ**﴾ [الحجر: ٥٠]، هذا المفهوم الذي ورد في الحديث السابق وهو ما يوافق قوله تعالى في الآية التي وردت آنفا، كان النبي -عليه الصلاة والسلام- دائمًا ما يؤكد عليه في كل مشهد، وفي كل حدثٍ يمرُ عليه.

كان النبي -عليه الصلاة والسلام- مارًا بأصحابه وإذ بالسبي أمامهُ، والسبي: هم مجموعة من النساء والأطفال الذين خلّفهم الحرب، فهؤلاء قد جاؤوا مقيدين مثلَ الأسرى، وإذا بامرأة من السبي تسعى، إذ وجدت صبيًّا في السبي فأخذته فألصقته في بطنها وأرضعته.

فلنا أن نتخيل هذا المشهد: أم، بعد حرب، قد فقدت ولدها رضيعًا وهي مرضع! ليس ولداً كبيراً إنما رضيعًا صغيراً، حتى إذا وجدته أخذته ثم أرضعته!

فلما رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا المشهد قال: **(أترون أن هذه طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا والله يا رسول الله وهي تقدر ألا تطرحه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: لله أرحم بعباده من هذه بولدها)**[5]

---

[4] أخرجه البخاري.
[5] أخرجه البخاري.

الله أرحم بك من هذه بولدها، أرحم بك من أمك!

سفيان الثوري يقول: **"مَا أُحِبُّ أَنَّ حِسَابِيَ جُعِلَ إِلَى وَالِدَيَّ؛ رَبِّي خَيْرٌ لِي مِنْ وَالِدَيَّ "** لأنه يعلم سعة رحمة ربه، وعظيم كرمه وعفوه.

مرَّ النبي -عليه الصلاة والسلام- أيضًا بأناس من أصحابه وصبي بين ظهراني الطريق -أي ظهر أمامهم في الطريق وهم على دوابهم - فلما رأت أمه الدواب خشيت على ابنها أن يوطأ، فأقبلت تسعى، وتقول: **ابني، ابني، فأخذته،** فقال القوم: يا نبي الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار. فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **"والله لا يلقي حبيبه في النار"**[6]

فالله عز وجل لا يُلقي إنسانا يحبه في النار، فهذه من رحمة الله عز وجل بعباده.

لنتخيل معًا **حلم الله علينا في كل لحظة، حلمه حينما لم يعاجل بالعقوبة، وحلمه حين منّ برحمته عليك،** فقال في هذه الأحاديث القدسية التي يرويها النبي -عليه الصلاة والسلام- عن ربه، يقول: **(يا عبادي)،** وحينما نسمع كلمة **"يا عبادي"** ارعها سمعك، فالله يخاطبك.

يقول: **(يا عبادي! إنِّي حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلْتُهُ مُحَرَّمًا بينَكم فلا تَظَّالموا، يا عبادي! كلُّكُم ضالٌّ إلَّا مَنْ هديتُهُ، فاستهْدُوني أَهْدِكم، يا عبادي !كلُّكُم جائِعٌ إلَّا مَنْ أطعمْتُهُ، فاستطعِموني أُطْعِمْكُمْ)**[7]

إلى هذا الحد الذي لا نملك نحن من أنفسنا شيئًا، فهل تظن في لحظة أنك تملك من أمرك شيء!!

فأنت ضال إلا أن يهديك، فالله -عز وجل- يعطيك إشارات الوصول بأنك لن تصل إلى الهداية من دون أن يوفقك الله إليها ويأخذ بيدك وبقلبك نحوها فيقول **(يا عبادي !كلُّكُم ضالٌّ إلَّا مَنْ هديتُهُ، فاستهْدُوني أَهْدِكم، يا عبادي !كلُّكُم جائِعٌ إلَّا مَنْ أطعمْتُهُ، فاستطعِموني أُطْعِمْكُمْ، يا عبادي ! كلُّكم عارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فاستكسوني أَكْسُكُمْ)**

---

[6] أخرجه أحمد، قال الألباني: صحيح.
[7] صحيح الجامع.

فلا تظن أنك حتى لباسك ترتديه بحولك وقوتك، فلو أراد الله -عز وجل- أن يكون الإنسان عارٍ لكان!

(يا عبادي! إنكُمْ تُخْطِئونَ بالليلِ والنهارِ وأنا أغفِرُ الذنوبَ جميعًا) الله -عز وجل- يعلم أننا نذنب بالليل والنهار لكنه يرشدنا للمبادرة والسعي إلى الخطوة الأولى وهي طلب المغفرة منه.

فالقضية ليست معجزة، بحيث تظن **أن الله سبحانه سيقلبك بين يوم وليلة، فلا تظن أن التغيير والهداية ستأتيك في لحظة،** وأن الروحانية تزورك وأنت محلق بالسماء، لا!

كل ذلك يُستجلب **ويجب أن تعمل حتى يرى الله -عز وجل- منك صدقك، وسيختبرك بهذا الصدق ويبتليك ليعلم أكان ما فعلته مجرد حماسة بسيطة؟ أم كان برغبة صادقة منك فيما عند الله عز وجل؟**

ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديثٍ قُدسي آخر:(**قال الله: يا ابن ادم إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي)**[8] ولذلك إذا رفعت يديك وأنت تطلب ما عند الله من المغفرة والرحمة ادع بهذا الدعاء **وقل يا رب أنت قلت ذلك وقولك الحق (يا ابن ادم إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي)، وانظر إلى كرم اللهـ سبحانه في قوله : (على ما كان منك ولا أبالي) فكل الذي كان منك، والذي كنت تظن أنه خطيئة كبيرة، وأنه ذنب عظيم، ولا تجد سبيلاً للتوبة منه، يغفره الله لك إن دعوته ورجوته ولا يبالي.**

(يا ابنَ آدمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لكَ (ولا أُبالِي) يا ابنَ آدمَ !لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا).[9]

فتح الملائكة كل صحائف أعمالك، كل حقائب سفرك التي تزودت بها في الدنيا للأخرة، فلم يجدوا فيها إلا خطايا وذنوب، وخلوات منتهكة، فيقول الله -عز وجل-
(لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكْ بِيْ شَيْئَاً) كان قلبك الذي بين جنبيك يشهد أن لا إله إلا الله، وأن الله سبحانه هو الغفور وهو الرحيم يقول: **(لأتيْتُكَ بِقِرَابِها مَغْفِرَةً).**

---

[8] أخرجه الترمذي، قال الألباني: صحيح.
[9] أخرجه الترمذي، قال الألباني: صحيح.

-فأنت- لو أتيت بهذا القلب النقي التقي مع ما تحمله من الذنوب والخطايا، كان ذلك يكفي لمقابلتها بالمغفرة، فذنوبك التي أنهكتك ليست ذنوب إصرارٍ ولا تعمّدٍ ولا تجرؤٍ على الله، وإنما هي ذنوب الإنسان الضعيف الذي خذلته نفسه وخانته،

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما يحكيهِ عن ربه -عز وجل-: (**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالى :أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالى :عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالى :أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، قالَ عبدُ الأعْلَى: لا أَدْرِي أَقالَ في الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: اعْمَلْ ما شِئْتَ.**)[10]

فهنا يتبين لنا **أن هذا العبد عَرفَ أن الله -عز وجل- هو الذي يغفر له إن استغفر، وأنه سيؤاخَذ بذنبهِ إن أذنب، فما اتكل على عظيم رحمة الله سبحانه فقط،** وإنما يعلمُ أن الله -عز وجل- لو أخذه بالذنب سيأخذه أخذ عزيز مقتدر، فقادته هذه المعرفة للتوبة والرجوعِ عن الذنب مباشرة، وقلبه يتقلب بين منزلتي الخوفِ والرجاء، يخاف العقوبةَ ويرجو التوبةَ والمغفرة من اللهِ سبحانه، فلمّا علم الله حالَ قلبهِ غفر له..

وتمضي الحياة بهذا العبد فيُذنبُ مرةً أخرى!

فهو بطبيعةِ الحال ليس بملكٍ وليس بأقوى إنسان! بل لم يمنع هواهُ وخانتهُ نفسهُ مرةً أخرى،

فهل استسلم؟! هل منعه خجله من نفسه أمام ربهِ من تكرار التوبة حال تكرار الذنب! لا **وإنما ما إن أذنب الذنب، حتى عاد يطلب من ربه التوبة.**

رجع مباشرة قلقًا تائبًا إلى الله -عز وجل- وقال يا رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: (**فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ**).

---

[10] أخرجه مسلم.

علِمَ أنه إن شاء ربّي عذبه بذنبه، وسيُعذب أناس بذنوبهم، وإن شاء ربّي غفر له ذنبه، وسيغفر الله -عز وجل-لعباده،

إذًا هو خائف وراجي في ذات الوقت، فغفر الله لعبده مرةً أخرى ثم عاد فأذنب فاستغفر، فقال في الثالثة **(أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ).**

لماذا نال هذا العبد هذه المنزلة؟

لأنه نجحَ في الامتحان القلبي، فهو في وقوعه في الذنب ورجوعه كان طيلة ذلك الوقت يتلمس مرضاته، تخونه نفسه ويضعف ويغرق، ولكنه في كل مرة يرجع إلى الله -عز وجل- ولسان حاله يقول: يا رب أنا لا أريد البعد عنك، ولن استأنس بمعصية، ولن استأنس بوحشة ذنب، ثم يذنب فيرجع إلى الله مرة أخرى إليه.

كل هذا والله عز وجل يقول: **(اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ)** فهذه من رحمة الله سبحانه بعباده، **وتتجلى هذه الرحمة في سترهِ حينما تفعل الذنب ويُرخي عليك أستاره، فلا يراك أحد ولا يطّلع عليك أحد، ولا يعلم بك أحد، ولو شاء الله لفضحك! ولو شاء الله لجعل غدراتك وفجراتك على مرأى ومسمع من الخلائق كلها، لكنه رحمك بستره عليك حينما لم تفعل ما فعلت من الذنب مجترئًا، فستر ذنبك رحمةً بك حتى لا يجتمع مع ذنبك ذنب الإصرار والعناد والمجاهرة، فسِترُ اللهِ رحمةً من الرحمات يغدقها على عباده.**

ماذا يكون نصيب هذا العبد الذي يفعل الذنب المرة الأولى متخفيًا لا يريد أن يطلع عليه أحد، فلا يهتك الله ستره في الآخرة؟

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (**إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ،))** يذكره بذنوبه التي اقترفها في الدنيا ،فيقول : ((**فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ))**

فلم يكن الحساب عن عامٍ واحد، ولا عن إجازةٍ واحدة، ولا عن مرحلةٍ معينة من العمر، **كان الحساب عن الحياةِ كلها** منذ بدأ التكليف إلى لحظة موته، كل ذلك يحدث يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تتطاير فيه الصحف أمام الخلائق، ويحشر الناس للحساب، وترى من أمامك هذا قُيّد وأُخذ إلى النار، وهذا فاز وأفلح وذهب إلى الجنة،

وفي ذلك الحين يُنادى باسمك للحساب، تذهب فرداً، تقِف بين يديه وحدك، ليس بينك وبين الله ترجمان، فلما تأتي للحساب أمام هؤلاء الخلائق على أرض المحشر، وإذا بالله -عز وجل- حين تُقبل عليه يُرخي عليك كنفه وستره ويصير الخطاب بينك وبين الله فقط، يقول الله -عز وجل- في تكملة الحديث: (**أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ فيقول الله عز وجل: (سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**)[11]

لم يسمع أحد ولم يعرف أحد، فكما أكرمه الله بستره في الدنيا ها قد أكرمه الله -عز وجل- بستره في الأخرة،

ولذلك عندما يخبرنا النبي -عليه الصلاة والسلام- عن المجاهرين بخروجهم من رحمة الله -عز وجل-؛ **هذا لأنهم أخرجوا أنفسهم بأنفسهم من هذه الدائرة،** ففي كل لحظة تصوّر فيها نفسك وأنت قائم على ذنب، أو قائم على معصية ما، أو تزيّن فيها لأحد غيرك ذنب أو معصية، **أنت هنا تهتك ستر الله عليك، أنت هنا تجاهر بهذا الذنب.**

فيقول الله: (**يا عبدي سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيُعطى كتاب حسناته.)**[12]

[11] أخرجه البخاري
[12] أخرجه البخاري

يقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "**من أذنب ذنبًا فستره الله عليه في الدنيا، فالله أكرم من أن يهتك ستره في الأخرة.**"،

ولذلك الله سبحانه من رحمته أنه (**يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل**).[13]

فما من لحظة تظن فيها أنه أُغلق الباب دونك حتّى تطلع الشمس من مغربها!

فباب التوبة مفتوح ليلا ونهاراً، والله -عز وجل- ينظر إليك وينادي قلبك إليه، هذه الرحمة الواسعة التي تفيض على كل أحد، والتي قال الله عنها: **(ورحمتي وسعت كل شيء)** كل شيء!

يبقى هنا السؤال المهم: كيف نستجلب هذه الرحمة؟

وكيف نجعل الله يرحمنا؟

ما الذى علينا فعله حتى نستجلب تلك الرحمات؟

الأمر الأول: التقوى، في تتمة قوله تعالى: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٦].

هنا عدنا لمربط الفرس، لسبب حديثنا عن رحمة الله -عز وجل- في هذا الشهر؟ وهو التقوى، فقد قال تعالى في الحكمة من مشروعية الصيام **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [البقرة: ١٨٣]، **هنا تعلم أنه ليس بالأمر الهيّن ألا تكون في زمرة المتقين! ليس أمرًا هينًا أبدًا أنك لم تعوّد نفسك حتى الآن على التقوى، بأن تتقي عذاب الله وغضبه، فتترك ذنبًا فقط لأن الله يبغضه ولا يحبه، وليس الأمر فقط حلال وحرام، بل هل الله -عز وجل- يحبه؟ يرضاه؟ أم أنه لا يحبه ويغضب منه! ورتّب عليه عقوبة أو حد!**

فاحذر وانتبه أن تعبد الله على طرف! فتبحث عن الحلال والحرام فقط دون أن تجتهد بأن تجعل بينك وبين عذاب الله حاجزًا ووقاية.

---

[13] أخرجه مسلم.

وثق بأن حالك وأنت هارب مما يمكن أن يكون فيه غضب الله وعذابه، هو حال تستجلب به رحمة الله سبحانه.

إذًا إذا اتقى الإنسان ربه، استجلب رحمته، ففي كل موقف قدّم التقوى، في كل لحظة تمشي بها ضع ميزان التقوى نصب عينيك.

الأمر الثاني: الرحمة، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: **(لا يرحم الله من لا يرحم الناس)**.[14]

فكلما تحركت في نفسك الرحمة، كل ما كانت رحمة الله إليك أقرب، ففي الحديث **(الراحمون يرحمهم الرحمن)**[15]

فهؤلاء الراحمون ولأنهم تمثلوا بصفة الرحمٰن، فتكون الرحمة إليهم أقرب، فأنت حينما **ترحمٌ نفسك** من الذنب والخطيئة تستجلب بذلك رحمة الله، فرحمة النفس ليست فقط بإعطائها حقها من النوم والأكل والشرب، بل ترحم نفسك عندما تتخيل وقوفها بين يدي الله، وحالها في ذلك اليوم العظيم، فترحمها من الحسابِ والعذابِ، **فتجتهد في أن تقدِّم لنفسك الرحمة بحفظها من الذنب.**

ارحم من هم حولك من ضِعاف الناس، وارحم أولئك الذين يأتمِرون بأمرك، ومن هم تحتَ سلطتك ومسؤوليتك، سواء أكان في العمل من الموظفين، أو في البيت كالخادمة والسائق، فكلما سعيت في رحمة الخلق، كلما كانت رحمة الخالق إليك أقرب.

جاءت امرأة إلى عائشة -رضي الله عنها- تسألها، ومعها ابنتان، ولم يكن لعائشة -رضي الله عنها- شيء تتصدق به إلا تمرة، تخيل معي أن عائشة -رضي الله عنها- وفي بيت النبوة!

لما جاءت امرأة تسألها لم تكن تملك حتى حبتين من التمر!

الموجود في البيت هي تمرة واحدة فقط!

---

[14] أخرجه البخاري

[15] أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وجاءت هذه الأم مع ابنتيها فأخذت هذه التمرة الوحيدة، وقسمتها بين ابنتيها، فأعجبت عائشة - رضي الله عنها- بهذا الموقف، فلما دخل النبي -عليه الصلاة والسلام- حكت له ما حدث، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (من ابتلي من البنات بشيء، فأحسن صحبتهن كن له سترًا من النار)[16]،

إذًا هذه الرحمة التي تحركت فيها كانت سببا لسترها من النار.

وانظر كذلك لمن رحمت كلباً وسقتهُ، ومن أماطَ جِذعَ الشجرة عن الطريق رحمة بالناس، كل هؤلاء تحركت في قلوبهم الرحمة، فنظر الله -عز وجل- إلى تلك القلوب فغفر لهم.

الأمر الثالث: باتباعك لكتاب الله -عز وجل- أنت تستجلب الرحمة، يقول الله تعالى: **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾** [الأنعام: ١٥٥]

وكلمة " لعلكم" في القرآن واجبة!

إذًا عندما تمر عليك هذه الآيات وتطرق سمعك، فهي من الله ومن كتابه، فدعها تستقر في قلبك، في صلاة التراويح ستمر بنا الكثير من الآيات، لا تدعها تمر عليك مرور الكرام! وتذكر إنما هذا الكتاب أُنزل للعمل به، **فتوقف واسأل نفسك عند كل آية: ما الذي يريدهُ الله مني هُنا؟ أمرًا أتبعه؟ أم نهيًا أجتنبه؟ توقف واستشعر، وأنزل هذه الآيات على قلبك واعمل بها لتنال رحمة ربك الواسعة (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون).**

في صلاة التراويح صلّى بنا الإمام بسورة النور، وسورة النور سورة عظيمة فيها آيات جليلة، **والتي ليس من الممكن أن يمر عليها الإنسان مروراً عاديًا**، قرأ الإمام منها قوله تعالى: **﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** [النور: ٣١]

[16] أخرجه البخاري.

لا يمكن لأي امرأة أن تتلوَ هذه الآية أو تسمعها بقلبها، وتخرج وهي تجاهر بزينتها، يستحيل ذلك وقد كرر الله عز وجل قوله ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ **مرتين**.

فكيف لنا أن نسمع ونخالف! أين ما تلوت وسمعت؟! ولمَ لم يتحوّل ما نسمعه إلى عمل؟! هذا مجرد مثال واحد لما أنزله الله سبحانه على سياق الرسالة المباشرة.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وهذا الأمر المذكور في الآية يعلم مآلاته من بعده، فحين يقول الله تعالى: **﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾** فهنا ليست القضية تغطية الوجه فحسب، بل هي الستر والعفاف الذي يتضمنُ هذا الأمر، **وهو أن أرتدي حجابي كما أمرني الله، وكيفما يحب ويرضى، وليس من أجل أي شي آخر، يكفيني أن هذا الأمر جاءني من الله -عز وجل- فلا يمكن أن أمر عليه وأنا أتلوه مرور الكرام.**

وخذ هذه الآية التي تحمل لنا رسالة أخرى، يقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾** [النساء: ١٣٥].

فلا يمكنك بعد هذه الآية أن تحضر مجلساً يُنتقص فيه من امرئ وألا تشهد له بشهادة حق.

ويقول تعالى في سورة أخرى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** [الحجرات: ٦].

حتى الأخبار التي تسمعها لا تستعجل في نقلها وتثبت منها ،**﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾**

تبيّن ولا تستعجل، ولا تخُض مع الخائضين ، لا تشارك في وسم على مواقع التواصل الاجتماعي وأنت لا تعلم حقيقة الأمر وماهيته

﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا على مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

وعليه، اقرأ آيات القرآن وأنت مستعد أن تتغير وتسعى بأن تعمل بكل ما تؤمر به، حينها تجد أن قلبك يلين مع كل آية وتستجلب بذلك رحمة الله **﴿وهذا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٥]

الأمر الرابع: إذا سمعت القرآن فأنصت له، يقول الله تعالى: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الأعراف: ٢٠٤]

عندما تكون في صلاتك مع الإمام فاستمع ولا تسهو، مهما كانت قراءته وتلاوته، حاول أن تُرعي سمعك وتُنصت للآيات، فإنصاتك يأتي بقلبك كلمّا فرّ من الدنيا، ليجعل رحمات الله منك أقرب.

إنصاتك هو باب استشعارك للآيات ومعانيها، فتجد نفسك تمر على قصة نبي الله صالح -عليه السلام- مع قومه وجدالهم معه في أمر الناقة، فبعد أن أتاهم بها آية ليهتدوا ويؤمنوا، كفروا بما جاءَ بهِ، وعقروها، **فتعلّم أن الإنسانَ الذي لا يريد الهداية مهما سِيقت لهُ الحُجج والآيات فلن يَهتدي.**

ثم تمرُّ على قصة نبي الله لوط -عليه السلام- فيحلّق قلبك مع هذا النبي، فكم من الآلام النفسية التي شعر بها، وأهل المدينةِ بأجمعهم يفعلون الفاحشةَ والمُنكر، بل ومن أغلظِ أنواع المنكراتِ. ولا يوجد في المدينة كلها إلا بيتاً واحداً مسلماً وهو بيته عليه السلام، ولذلك قال له قومه -عليه السلام- **﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾** [النمل: ٥٦].

فلما تمر على قصة نبي الله لوط لا تمر عليها مرورًا عابراً، بل أنْصت وعِش مشاعرهُ عليه السلام، لأن الله لم يأتِ بكل هذه القصص عبثًا، بل هي تثبيت للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وتثبيتٌ لأمتهِ من بعده، فتجد أن الله صبّرَ نبيهُ لوط -عليه السلام- على ذلك البلاء، ففرج الله عنه. **فتَصبِر أنت على مجتمعك، وتصبر في أسرتك، ومع الأصدقاء وكل من كان حولك.**

ليأتيك فرج الله جزاءً لهذا الصبر، ولأنك علمت أن رضا الله أهم، ففي النهاية سترحل وحدك، وتترك كل ما خوّلك الله خلفك قال تعالى: **﴿وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَاكُمۡ وَرَاءَ ظُهُورِكُمۡ﴾** [الأنعام:94]

كل ما أعطيت في الدنيا زائل! شهاداتك، أموالك، مناصبك، أسمائك، سيرتك الذاتية، ستبقى وراءك، وستأتي إلى الله فردًا.

فعلامَ تستهلك نفسك من أجل غيرها، في هذه الدنيا التي سنخرج منها يومًا ما، ولا ندري لعل ذلك اليوم قريب.

الأمر الخامس: من مواطن استجلاب الرحمة هو أن تستغفر الله، يقول الله تعالى: **﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾** [النمل: ٤٦]

في درس للأستاذة نوف الشهاب ذكرت معلومة أن عن عائشة -رضي الله عنها- لما سألت النبي -عليه الصلاة والسلام-: **يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أدعو؟ قال تقولين: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنّي)**[17]

فقال الشرّاح لهذا الحديث، لماذا يكون الدعاء فقط بالعفو؟

في ليلة القدر تشعر بأنك تريد أن تدعو بكل شيء، وأن تدعو بأعظم أنواع الأدعية.

فلماذا أرشدها النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذا الدعاء؟

قال شرّاح الحديث: **لأن الله إذا عفي عنك أعطاك حاجاتك كلها بغير مسألة.**

أنت فقط استغفر واطلب العفو، فإذا عفى الله عنك، وغفر لك ذنوبك وسيئاتك كلها، وأصبحت قطعة بيضاء أمام الله، فحتما سيؤتيك حاجاتك من غير مسألة: **﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾** [النمل: ٤٦].

---

[17] أخرجه الترمذي، قال الألباني: صحيح.

الأمر السادس: قدّم ما عند الله -عز وجل- في جميع أمورك تتنزل عليك الرحمات، يقول الله تعالى: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [آل عمران :١٣٢]

فإذا كنت في قرار وموقف يخص حياتك، ولا تعرف أتطيع أمك أم ربك؟ أتطيعي زوجك أم ربك؟

هنا يأتيك قوله سبحانه لينقذك من حيرتك، فيقول الله تعالى: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [آل عمران :١٣٢]،

قدّم ما عند الله -عز وجل- في جميع أمورك تتنزل عليك الرحمات.

الأمر السابع : الهجرة ، يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [البقرة: ٢١٨]. **والهجرة: هي أن يهاجر الإنسان من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام،** ولذلك الصحابة فُضّلوا بالهجرة، وسُمّوا بالمهاجرين، بل كان مقامهم أعلى من الأنصار! لأنهم حينما هاجروا تركوا منازلهم، وتركوا أملاكهم، والمكان الذي نشأوا فيه، وهاجروا منه إلى دار أخرى -المدينة-، **وذلك رغبةً فيما عند الله سبحانه.**

المهاجرون تركوا كل ذلك وراءهم **ترك حسي**، فهاجروا من بلاد إلى بلاد، فهل هذا هو المقصود فقط؟ يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: **(المهاجر من هجر ما نهى الله عنه).**[18]

تخيلوا معي أننا عندما نتوب من ذنبٍ ما، نكون وكأنّنا نحمل متاعنا، ونترك مكاننا الذي أذنبنا فيه، لنعود إلى الله ونهاجر من هذا الذنب إليه، حيث لا عودة ولا رجعة إلى الذنب مرة أخرى، فهذه الهجرة مما يُستجلب به رحمات الله -عز وجل-.

فانظر إلى قائمة حياتك، وانظر إلى تلك الأشياء التي تحتاج منك أن تهاجر منها، وأقدم على ذلك في هذا الشهر الكريم.

الأمر الثامن: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أسباب نيل الرحمة، يقول الله تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسولَ لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾** [النور: ٥٦]

[18] أخرجه البخاري.

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أسباب نيل الرحمة، شيئين بسيطين جدًا، **وهو أنك تقيم الصلاة وتحافظ عليها،** وألّا تفعلها كمن يوقّع حضوره فيها فقط، **وإنما أقمها! أقم سجودها، وأقم ركوعها، واجعل إقامة صلاتك في شهر رمضان على الوجه الصحيح** من الأعمال الصالحات التي تتقرب إلى الله بها، فتجوّد صلاتك وتقدّمها إلى الله سبحانه.

وإيتاء الزكاة: تكون بزكاة أموالك أو زكاة الذهب، وإخراج زكاة الذهب أمره يسيرٌ جداً، فاجمع الذهب كله وخذه إلى الصائغ ليحسب لك وزنه بالجرام، ثم ومن خلال موقع إلكتروني (زكاتي) يمكنك حساب مقدار الزكاة فقط في ضغطة زر.

فعندما تقيم صلاتك، وتؤتي زكاتك، بنية تقربك إلى ربك، تكن حينها من رحمته أقرب.

الأمر التاسع: أن يكون الإنسان سمحًا، وهي من أجمل الأشياء التي تستجلب فيها الرحمات من الله سبحانه،

وهذه السماحة جاء فيها الحديث بدعوة النبي -عليه الصلاة والسلام-: **(رحم الله عبدًا سمحًا)** في ثلاث مواطن، هي من أكثر المواطن التي يقتص فيها الإنسان لنفسه ويستوفي حقه، وهذه المواقف الثلاث ليست مواقف عادية،

وورد ذكرها في حديث النبي -عليه الصلاة والسلام-: **(رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى)**[19] **فترى هنا أن هذه السماحة تأتي في الموقف** الذي لا يريد أي إنسان أن يضيع منه قرشًا واحداً من ماله، فلا يريد أن يُبخس حقه في سلعتهِ المباعة، **والموطن الثاني** في الشراء فلا تريد أن يغرر بك في السلعة إما بزيادة سعرها أو بسوء جودتها، **والموطن الثالث** أن تكون سمحا في المطالبة بقضاء دينك .

[19] أخرجه البخاري.

فلما كانت السماحة في هذه المواطن الثلاثة سببا في استجلاب رحمة الله -عز وجل-، فحتما هي ليست بالشيء اليسير بل تحتاج منا أن نربي أنفسنا عليها، فكن سمحًا، تكن من رحمة الله قريب.

الأمر العاشر والأخير: أحسن في عملك، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]

فكلما أحسنت في عملك، وراقبت الله بالإحسان، كلما كانت رحمة الله قريبةً منك، فعندما نتحدث عن هذا القرب، فنحن نتحدث عن وعد قطعه الله لعباده المحسنين في كتابه وهو أن هذه الرحمة قريبة من هذا المحسن، ولذلك تجد أننا جميعنا نذهب إلى الصلاة، لكنك تجد ذلك المحسن قد سبقك إلى المسجد، يتلذذ في طاعة الله ما بين داع وقارئ ومصل وذاكر لله سبحانه.

فلا تظن أن جميع من يؤدي العبادات والطاعات هم في الثواب سواء.

فالناس يتمايزون بينهم في ذلك، فكلنا نصوم رمضان لكن هناك من يتق الله في صومه، فتجده حريصاً على الحفاظ على صيامه من كل ما قد يجرحه، ليلًا ونهارًا على حدٍ سواء، فلا يفعل بالليل ما يجرح صيام النهار،

ولذلك من أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله.

فتجد أحيانًا أنك تفعل مثل ما تفعل كل يوم وكل ليلة ولكنك لا تجد نفس اللذة في قلبك، اعلم هنا أن ثمة خلل في نهارك أفسد عليك عبادتك بالليل أو العكس، أو تجد أحيانا أنك تصلي وتشعر أن قلبك محلقاً في السماء، تود لو أن الصلاة تطول ولا تنتهي، ما سبب ذلك؟ وما الذي يحرّك هذا القلب؟

هي الأعمال الصالحات عندما تحسنها.

مر رجل برجل تعلق بأستار الكعبة، وفي الحرم، وفي ظلام الليل وهو يرتجز بأبيات يقول فيها:

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم..

يا كاشف الضر والبلوى مع السقم..

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا

وأنت يا حي يا قيوم لم تنمِ

أدعوك ربي حزينًا هائمًا قلقًا

فارحم بكائي إله البيت والحرمِ

إن كان جودك لا يرجوه ذو سفهٍ

فمن يجود على العاصين بالكرمِ؟

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول:

ألا أيها المقصود في كل حاجةٍ

شكوت إليك الضر فارحم شكايتي

ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي

فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

أتيتك بأعمالٍ قباحٍ رديئةٍ

وما في الورى عبدٌ جنى كجنايتي

فكلنا ندعو، لكن **من الذي يدعو ويبتهل في دعائه؟ ومن الذي يظهر ويعلن افتقاره؟**

فلما اقترب الرجل منه فإذا هو زين العابدين علي بن حسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فهو من آل النبوة، ومع ذلك يقول عن نفسه: أتيتك بأعمالٍ قباحٍ رديئة، وما من عبد في الورى جنى كجنايتي!

يقول قوله هذا وهو المسمى بزين العابدين لعبادته، الذي ذكروا عنه أنه لما توفي وجدوا على ظهره خطوط وجراح، كانت من أثر حمل أكياس القمح والشعير التي كان يتصدق بها كل ليله على الفقراء وما كانوا يعرفون صاحب هذه الصدقات، فلما توفي علموا أنه صاحبها من الآثار التي وجِدت على ظهره، ثم يأت مثل هذا الرجل ويبتل بهذا الدعاء، واقرأ في سيرته لتستزيد.

فكلنا ندعو لكن من الذي يدعو بذلك القلب الخاشع الراجي ما عند الله عز وجل، وهو بذلك يستجلب رحمة ربه -عز وجل-.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى في هذه الليلة أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء وأن يغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، وأن يجعلنا ممن أُعتقت رقابهم من النار، وأن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا، ونعوذ يا رب برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ولا إله إلا أنت.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها.